90 - السيدة حسنة أم شرحبيل

إسلامها وصبرها على الإيذاء

اسمها حسنة، زوجها عبد الله بن المطاع من بني مُرَّة، ولدت له ابنه شرحبيل بن عبد الله، ولما توفِّي عبد الله خلفه عليها أحد رجال بني جُمَح ويدعى سفيان بن معمر، فولدت له ابنيه جابراً، وجُنادة، فكانا أخوين لشرحبيل من أمه.

كان إسلام حسنة وأولادها الثلاثة قديماً في مكة، ولما اشتدَّت قريش في عدوانها على المسلمين وطالبتهم أن يكفروا بدين محمد ويرجعوا إلى عبادة الأصنام والأوثان، بعد أن امتنَّ الله عليهم بنعمة الإيمان، آثروا الهجرة، وتركوا المال والوطن حباً لله، وحفظاً لدينه.

ودخلت حسنة مع أولادها الثلاثة وزوجها سفيان قبل هجرتهم إلى الحبشة شعب أبي طالب، وعانوا فيه من حصار قريش واضطهادهم أشدَّ المعاناة.

هجرتها وأسرتها إلى الحبشة

ثم هاجروا إلى الحبشة، حيث استقبلهم فيها أحسن استقبال إخوانهم الذين سبقوهم إليها، وراحوا يروون لجعفر بن أبي طالب وأصحابه ما لقوه داخل الشعب خلال الحصار، لأن قريشاً منعت عنهم الطعام والشراب إلَّا ما سرَّبه إليهم في غفلةٍ عنها ناسٌ من أهل المروءة والضمير.

وأدرك المهاجرون حينئذٍ أن حياتهم في مهاجرهم أفضل من العيش تحت وطأة الحصار، وأن البقاء بعيداً عن الديار أسلم لهم، وما تغني الديار عنهم إذا كان أهلها لهم ظالمين!.

ولقي المهاجرون خلال إقامتهم على أرض الحبشة من ملكها النجاشي أحسن معاملة، وأفضل رعاية، بعد أن آمن بما آمنوا به، واتَّبع النبي الذي اتَّبعوه ﷺ فكانوا في خير دارٍ، وأكرم جوارٍ.

لقد وعى النجاشي ملك الحبشة وراعي المهاجرين – رحمه الله تعالى – معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: 10] فأدَّى الأخوة حقَّها، فأحسن إليهم غاية الإحسان، وتركهم يعبدون الله في أمان، بعد أن سقاهم ذوو القربى كؤوس الهوان.

رجوعهم إلى المدينة ومشاركتهم في الجهاد

ولما علم المهاجرون أن رسول الله ﷺ قد خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة قرَّروا اللحاق به، وكان النجاشي على رأس مودِّعيهم، وطلب منهم أن يُقرئوا رسول الله ﷺ منه أزكى السلام، وحين قدموا على رسول الله ﷺ أبلغوه سلام النجاشي فردَّ عليه ودعا له.

كان أولاد حسنة لا يتخلَّفون عن مشاهد رسول الله ﷺ طيلة حياته، وفي خلافة عمر بن الخطَّاب ﷺ حضر جابراً وجُنادة الموت – رحمهما الله تعالى – وأما شرحبيل أخوهما فقد هلك مع أمين الأمة أبي عُبَيْدة بن الجرَّاح في طاعون عَمَواس سنة ثمان عشرة للهجرة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورحم أمه حسنة، وجزاهم عن الإسلام كل خير.